هوامش

في دراسة نُشرت يوم 20 فبراير/ شباط الماضي في مجلة Nature Communications، وثّق باحثون حالات لإصابات بمتلازمة داون، يعود تاريخها إلى 5000 سنة مضت

لم تتوفر رعاية صحية كافية في ذلك الزمن (Getty)

متلازمة داون

العثور على حالات تعود إلى 5000 عام

محمد الحداد

تمكّن باحثون من رصد وتوثيق أقدم حالات الإصابة بمتلازمة داون في التاريخ، إذ يعود تاريخها إلى الفترة ما بين 5000 و2500 سنة مضت، وعُثر على هذه الحالات في مواقع العصر البرونزي في اليونان وبلغاريا، ومواقع العصر الحديدي في إسبانيا. كذلك عثر مؤلفو الدراسة التي نشرت يوم 20 فبراير/ شباط الماضي في مجلة Nature Communications على جثة من مقبرة الكنيسة في فنلندا، تعود إلى الفترة من القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر.

أربع من كل 35 حالة

عثر الفريق البحثي على الأدلة من جثة فتاة رضيعة في قرية ألتو دي لا كروز بالقرب من مدينة نافارو الإسبانية. أثارت الجثة فضول العلماء لفحص جميع جثث الأطفال المدفونين في الموقع. وبالفعل، اكتشفوا أن أربعة من الأطفال المدفونين البالغ عددهم 35 طفلاً كانوا يعانون من تشوّهات صبغية، ولم يعيشوا لفترة طويلة، نظراً إلى الرعاية الطبية السيئة في الوقت الذي عاشوا فيه. اكتشف الباحثون أن ثلاثة من الأطفال كانوا مصابين بمتلازمة داون، المعروفة أيضاً باسم التثلث الصبغي 21. كما أصيب رضيع آخر بالتثلث الصبغي 18، أو متلازمة إدواردز. وهذه هي المرة الأولى التي تُحدَّد فيها الحالة الأخيرة في السجل الأثري.

يقول الباحث الرئيسي في الدراسة، آدم روهلاش، الباحث في معهد ماكس بلانك للأنثروبولوجيا التطورية، في تصريح لـ«العربي الجديد»، إن الفريق لم يكن يتوقع إطلاقاً الوصول إلى هذه النتيجة، خاصة أن متلازمة داون تحدث في ما يقدر بواحدة من كل 700 حالة حمل اليوم، لذلك فإن أربعة من كل 35 حالة حمل هو عدد كبير جداً. ووجد الباحثون أن الأطفال لديهم تثلث صبغي، أو كروموسوم إضافي، من خلال فحص قاعدة بيانات بحثية تحتوي على جينومات ما يقرب من 10 آلاف فرد قديم. يعد التثلث الصبغي وسيلة جيدة للباحثين لدراسة التشوهات الجينية في الماضي، لأنه من السهل اكتشافه، حتى لو كانت العينة تحتوي على القليل من الحمض النووي، وفقاً للباحث الذي يشير إلى أنه عثر على سبع حالات في قاعدة بيانات ماكس بلانك، بما في ذلك الأطفال الأربعة من العصر الحديدي في إسبانيا، وصبي يبلغ من العمر ستة أشهر مصاب بمتلازمة داون من بلغاريا، توفي في عام 2700 قبل الميلاد، وفتاة من العصر البرونزي اليوناني، ورضيع من العصور الوسطى في فنلندا. يوضح روهلاش أن التثلث الصبغي 21 يحتوي على أكثر من 200 مؤشر هيكلي محتمل، ما يجعل تحديده في السجل الأثري أمراً صعباً، مع صعوبة العثور على أدلة عظمية. «من المهم حقاً أن يكون لدينا هذا الدليل الجيني، فهو الدليل القاطع الوحيد»، يقول الباحث. جميع الأشخاص المصابين بالتثلث الصبغي في قاعدة البيانات ماتوا في مرحلة الطفولة أو قبل وقت قصير من الولادة. تشير المدافن السبعة إلى أن الأفراد المصابين بالمتلازمة عوملوا باحترام، أو حتى بُجّلوا عند الموت. ولكن من الصعب التأكد من ذلك على وجه اليقين، خاصة أنه من الممكن في مثل هذه السن المبكرة أن الناس لم يلاحظوا أنهم مصابون بمتلازمة داون، وفقاً للباحثين.

باختصار

وجد الباحثون أن الأطفال لديهم تثلث صبغي، أو كروموسوم إضافي، من خلال فحص قاعدة بيانات بحثية تحتوي على جينومات ما يقرب من 10 آلاف فرد قديم

■■■

يخطط المؤلفون لتوسيع أبحاثهم في المستقبل لدراسة الطريقة التي تعاملت بها المجتمعات القديمة مع الأفراد الذين كانوا بحاجة إلى المساعدة

■■■

لم يتمكن الفريق البحثي من الوصول إلى جميع الهياكل العظمية التي حصل على البيانات الوراثية الخاصة بها، لأنها جاءت من دراسات سابقة

مزيد من الأسئلة

لم يتمكن الفريق البحثي من الوصول إلى جميع الهياكل العظمية التي حصل على البيانات الوراثية الخاصة بها، لأنها جاءت من دراسات سابقة. لكن الباحثين يشيرون في الدراسة إلى أنه سيكون من الجيد لو تمكنوا أو تمكن غيرهم من الباحثين في المستقبل من إعادة النظر في المزيد من الأسئلة المتعلقة بالعظام التي عثر عليها في السابق، لأن هذه الزاوية كان من الممكن أن تساعد علماء العظام على الإبلاغ عن الحالات المحتملة في سجلاتهم ومجموعات المتاحف التي تحوي العظام ذات الصلة. مع استمرار زيادة عدد عينات الحمض النووي التي يعثر عليها الباحثون، وتعود إلى أفراد من العصور القديمة، يخطط المؤلفون لتوسيع أبحاثهم في المستقبل لدراسة الطريقة التي تعاملت بها المجتمعات القديمة مع الأفراد الذين ربما كانوا بحاجة إلى يد المساعدة، أو كانوا مختلفين بعض الشيء، مثل الأطفال المصابين بمتلازمة داون وغيرها من الأمراض الوراثية.

وأخيراً

غرنيكا عاطف أبو سيف

محمود الرحبي

إذا كانت جدارية غرنيكا للفنان الإسباني بابلو بيكاسو وثيقة فنية خالدة تذكّر بما حدث لبلدة غرنيكا في أثناء الحرب الإسبانية من قصف استمر ثلاثة أيام، فإن كتاب «وقت مستقطع للنجاة... يوميّات الحرب في غزّة» (الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 2024) للروائي ووزير الثقافة الفلسطيني عاطف أبو سيف، وثيقة حيّةٌ عالية القيمة، سواء في مستواها التوثيقي المتتبع أدقّ تفاصيل المأساة أو في بلاغتها التصويرية ورشاقة وصفها الظلال والأنفاس والخوالج وذعر الأطفال والنساء وتفاني الرجال في إسعاف جرحاهم، وقبل ذلك كله، وثيقة عظيمة في تصوير، بالكلمات، حربٍ شديدة البشاعة: «سمعنا بحرب المدن وسمعنا بحرب الصواريخ، ولكننا لم نسمع بحرب المستشفيات. لم يسبق لدولةٍ في التاريخ أن أطلقت حربا على مستشفيات عدوها» (ص 316). يقع الكتاب في 631 صفحة، ويضم تفاصيل 85 يوماً من مشاعر الألم تحت سماء الحجيم، إذ كان «كل شيء يرقص ويهتز» . اقتنيته من معرض مسقط الدولي للكتاب قبل أيام، وظلّ معي أياماً، ورافقني إلى أكثر من مقهى ومصطبة بحْرية. كانت المصادفة، على مأساويتها، سخية بأن يترك لنا عاطف أبو سيف هذا السفر البليغ، وقد ذكر في المقدمة أنّ صديقه الكاتب معن البياري حثّه على تسجيل يومياته أولاً بأول، حين علم أنه في غزّة، ثم نشر يوميات عديدة منها في صحيفة العربي الجديد.

يجد القارىء في «وقت مستقطع للنجاة» ما لا يسرّه، وأيضاً ما لا يمكن التصالح معه، أصدقاء للكاتب من مثقفين وأهل ومواطنين يظهرون في بداية الأيام الأولى للمذكّرات بكامل صحتهم وذهولهم، ما يلبثوا أن يتساقطوا موتى واحداً واحداً مع التقدّم في القراءة... يا إلهي. سيصرُخ كل من يقرأ هذا الكتاب في داخله، وربما ستتساقط دموعُه حرّى. لا يوجد أبلغ من الكلمة. لقد بثّ الكاتب مشاعره فوق السطور وبينها، ما يصعُب أن تصوّره كاميرات نشرات الأخبار، ولا حتى الأفلام الدرامية. ستظلّ الصورة، مهما بلغت من تطوّر، عاجزة عن ملامسة مسالك الروح واللهاث والمشاعر التي أتقن الكاتب تتبعها، لأن عينيه كانتا الكاميرا التي تلتقط وتصوّر، ولأن جسده كان هناك، وقلبه هو من كان يخفق، حين كان يتنقل مع ابنه ياسر عرفات من مكان إلى آخر، وقد أخطأتهما شظية الموت مصادفة: «المصابون تجرى عمليات لهم من دون مخدّر ويتم بتر أعضائهم من دون مخدّر، ويتم فتح بطونهم من دون مخدّر» (ص 159). شاهدٌ رأى تفاصيل المجزرة ووثّقها بتفاصيلها للتاريخ: «بدأ بعض المواطنين يكتبون أسماءهم على أعضائهم، حتى يتم التعرف عليهم في حال تمزّق أجسادهم. يريد الجسدُ أن يجد اسماً، والاسم يريد الجسد الذي يدلّ عليه» (ص 163). رغم أن هاجس الكاتب كان نقل الأخبار والتفاصيل حارّة من أجل نشر ما يكتبه عنها بأمانة باللغتين العربية والإنكليزية. ويمكن أيضا متابعة الصعوبات الكبيرة التي كان يعانيها وتقطّعات الكهرباء وصعوبة الإرسال، فكانت في ذلك كله مقاومة أخرى للموت، أو الردّ بالكتابة، كما كرّر مرارا إدوارد سعيد في كتبه الملهمة. حيث لا سلاح للأعزل إلا صراخه وكلماته. رغم ذلك، جاءت هذه الكلمات بليغة، فيها مسحة من طراوة التعبير وعذوبته، بيد أن الخيال، مهما شحذ قواه، لا يمكنه أن يطابق الواقع الذي كان يراه الكاتب حيّا أمامه في غزّة، وكأن الخيال هنا يبرُز فقط كمتنفس للكلمات من أن ينقطع نفسها، وهي تتتابع بتلك الحرارة القاتلة «في الطريق من المستشفى الأوروبي إلى رفح كان الناس يصفطون أمام محطّة تعبئة الغاز بالآلاف. كل شخص يضع جرّة الغاز ويقف بجوارها. يبدو صفّ جرار الغاز مشهداً مثيراً في فيلم سينمائي منسي لا يشاهده أحد. بدت الجِرار حزينة. ربما يدخل طابور الجِرار الطويل هذا موسوعة غينيس لو جرى الالتفات إليه» (ص 400). وهكذا أراد عاطف أبو سيف أن يلتفت إليهم، وأن يقاوم النسيان الذي أراده العالم، ليصوّر بالكلمات ما يجب أن يعرفه ويشاهده كل أحد، حيث صراخ البشر يعلو على أصوات الطبيعة من ريح ومطر، «الحياة في غزة معلقة ومؤجّلة، لا أحد يعيشها بشكل كامل، ولا أحد يعيشُها بشكل متواصل، بل قطعة قطعة، وحين تعيش جزءاً منها، فهذا لا يعني أنك ستعيش الجزء الثاني، بل إن عليك الانتظار حتى تتبيّن نصيبك الآخر» (ص 432).

> كتاب «وقت مستقطع للنجاة... يوميّات الحرب في غزّة» للروائي ووزير الثقافة الفلسطيني عاطف أبو سيف وثيقة حيةٌ عالية القيمة

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**